﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾

[المائدة: 10]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا كانت الآيةُ السَّابقة تتضمَّنُ وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم لمَن آمن وعمل صالحًا؛ عُطفت عليها هذه الآيةُ بالواو، "ولَمَّا قدَّم الوعد؛ لأنَّه في سورة الذين آمنوا؛ أتبعه الوعيد لأضدادهم، وهو أعظم وعد لأحبابه المؤمنين أيضًا، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، أي: غطُّوا ما اتَّضح لعقولهم من أدلَّة الوحدانيَّة"[1]، وكذَّبوا بالآيات النَّازلة، فاستحقُّوا أن يكونوا من أصحاب النَّار، الملازمين لها، وهو تناسُبٌ بيِّنٌ بين الآيتين الكريمتين؛ فالمؤمن جزاؤه الجنَّة، والكافر المُكذِّبُ جزاؤه الجحيم.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل ماضٍ من (كفرَ يكفرُ)، وجذرهُ اللُّغويُّ (كفر)، والأصلُ في معناه: دلالته "على معنى واحدٍ، وهوَ السَّترُ والتَّغطيةُ، يقال لمَنْ غطَّى درعهُ بثوبٍ: قدْ كفرَ درعهُ"[2]، ووصفُ اللَّيل بالكافر؛ لستره الأشخاصَ، ووصفُ الزّارعِ به لستره البِذْرَ في الأرض[3]، وسُمِّي الكافر الشرعيُّ: كافرًا؛ لأنَّه ستر الحقَّ، وغطَّى عليه[4]، ومعنى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الآية: "والذين جحدوا وحدانيَّة الله، ونقضوا ميثاقه وعقودَه الَّتي عاقدوها إيَّاه"[5].

2) ﴿وَكَذَّبُواْ﴾: فعل ماضٍ، جذره اللغويُّ من: (كَذَبَ)، ومصدرُهُ التَّكذيب، والكذبُ عمومًا ضدُّ الصِّدْق[6]، و"المعنى المحوريُّ: نَقْص الحِدَّة، والشدَّة الجارية في الشَّيء، أو

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/45.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفر).
(3) الرّاغب، المفردات: (كفر).
(4) السمين، عمدة الحفاظ: (كفر).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 10/100.
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة: (كذب).

المتوقَّعة منه كانكسار الحرِّ الجاري، ونَقْص حِسِّ العين، وتوقُّف الوحشيِّ عن الجَرْي، وعَجْز القوم عن السُّرَى، وهو معتاد في أسفارهم، وكالجُبْن عن الاستمرار في الهجوم... ومنه الكَذِبُ من القول؛ لأنَّه نَقْصٌ، بل فَقْدٌ للمتوقَّع من الكلام، بل لما وُجد من أجله، وهو التَّعبير عن حقيقة ما في النَّفْس"[1].

وله "أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصِّدْقِ، وَتَلْخِيصُهُ: أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ نِهَايَةَ الْكَلَامِ فِي الصِّدْقِ، مِنْ ذَلِكَ الْكَذِبُ خِلَافُ الصِّدْقِ، كَذَبَ كَذِبًا"[2].

ومعنى (وكذبوا): أنَّه مكذِّب بالآيات، كافر بها بعد وضوحها وضوحًا بيِّنًا[3].

3) ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: جَمْعٌ بالألف والتَّاء، مفرده (أَٰية)، ثمّ صارتَا مدَّةً، وذكرَ "أنَّها مشتقَّةٌ منَ التأيِّي الَّذي هوَ التَّثبُّتُ، والإقامةُ على الشَّيءِ".[4] والآيةُ تأتي بمعنَى: العلامةِ والشَّخصِ والجماعةِ[5]، وكونُها مؤلَّفةً منَ الكلماتِ والجملِ سمِّيتْ آيةُ القرآنِ بهذا الاسمِ؛ ولأنَّها "طائفةٌ منَ القرآنِ، يتَّصلُ بعضُها ببعضٍ إلى انقطاعِها، طويلةً كانتْ أوْ قصيرةً"[6].

ومعنى ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ في الآية: "ما شرع اللّٰه من أحكام، وأوجب على العباد أن ينفِّذوها، كما يطلق على الدَّلالات التي تدلُّ على قدرة الخالق جلَّ وعلا، وتطلق على الآيات القرآنيَّة، وتطلق على المعجزات الَّتي أيَّد اللّٰه بها الرُّسل"[7].

4) ﴿أَصْحَٰبُ﴾: جمعُ تكسيرٍ، مفردُه صاحبٌ، وجذره اللُّغويُّ من: (صحب)، وأصله: "يدلُّ على مقارنةِ شيءٍ ومقاربتِه... وكلُّ شيء لاءمَ شيئًا؛ فقد استصحبه"[8].

أمَّا المعنى العامُّ للَّفظة؛ فإنَّ "الصَّاحِبَ: الملازم إنسانًا كان أو حيوانًا، أو مكانًا، أو زمانًا، ولا فرقَ بينَ أن تكون مُصَاحَبَتُهُ بالبدن، وهو الأصل والأكثرُ، أو بالعنايةِ والهمَّةِ"[9].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كذب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كذب).
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/96.
(4) الراغب، المفردات: (أي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أيي).
(6) الكفويّ، الكليّات، ص: 41.
(7) الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 3/39.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صحب).
(9) الراغب، المفردات: (صحب).

ولمَّا كان معنى الصُّحبةِ: اللُّزومُ والدَّوامُ؛ كان معنى أصحاب الجحيم: "ينبئ عن التَّخليد فيها؛ لأنَّ المصاحبة تقتضي الملازمةَ، كما يقال: أصحاب الصحراء، أي: اللَّازمون لها"[1].

5) ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾: اسم من أسماءِ النَّارِ، الجذر اللُّغويُّ منه (جحم)، والأصلُ في معناها: "عُظْمُهَا به الحرارةُ وشدَّتُها، فالجاحمُ: المكانُ الشَّديدُ الحرِّ"[2]، والمعنى المحوريُّ لها: "بؤرةٌ متوقِّدة الأثناء، توقدُ أثناءَ الشَّيءِ الجسيمِ حِدَّة مع غلظه في نفسِه... ومنه الجحيمُ: كلُّ نارٍ عظيمةٍ في مهواة"[3].

و"الجحيمُ: شدَّة توقُّد النَّارِ وإضرامها، وجحمتُ النَّارَ: أضرمتها، وزدت في توقُّدها، ومنه الجحيمُ، أعاذنا الله منها"،[4] ومعنى الجحيم في الآية: "جَهَنَّمُ، وَأَصْلُ الْجَحِيمِ: النَّارُ الْعَظِيمَةُ تُجْعَلُ فِي حُفْرَةٍ لِيَدُومَ لَهِيبُهَا، يُقَالُ: نَارٌ جَحْمَةٌ، أَيْ: شَدِيدَةُ اللهبِ"[5].

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

خلود أهل النَّار فيها

الآيةُ الكريمة فيها إشارة إلى حقيقةٍ جاء بها الأنبياء والرُّسل، وحذَّروا منها في أنَّ مَن يكفر بالله، ويكذِّب بآياته؛ فإنَّه آيلٌ إلى الجحيم؛ ليكون من أصحابها الملازمين، "وَهَذَا هُوَ الْجَزَاءُ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ أَعْمَالِ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَ مِثْلِ هَذَا الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ عَمَلٌ"[6].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عطف التَّكذيب على الكفر من عطف الخاصِّ على العامِّ

### البدء بصفة الذين كفروا ثمَّ الذين كذبوا:

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾ ابتدأ هذه الآية بالرَّهط المُخالف من أُولئك الَّذين كفرُوا، ثمَّ عطف ممَّنْ كذَّب بالآيات، وهُنا

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 7/292.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جحم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جحم).
(4) السمين، عمدة الحفاظ: (جحم).
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 7/13.
(6) رضا، تفسير المنار: 6/228.

عطف التَّكذيب على الكُفر، مَعَ أنَّهُ ضرْبٌ منهُ، فالكُفر معناهُ: التَّغطيةُ والسَّترُ للحقائق؛ وتغطيةُ العقُول عن إدراك الحقِّ، والتَّكذيبُ مُشابهٌ لهُ في تغطيةِ الحقِّ والتَّدليس عليه، وحَجْبِهِ عنِ العُقُول والبصائر، "فهُو هُنا من باب عَطْف الخاصِّ على العامِّ"(1)، أو المُجْمَل علَى المُفَصّل؛ "لأنَّ الكافر على قسمين: جاهلٌ بالآيات، وكافرٌ كفَرَ بعد وضوح الآيات والمعجزات الدَّالَّة على صدق الرَّسول"(2).

### بلاغة تقديم فعل الكفر على فعل التَّكذيب:

الكفر جحود القلب وطمس معالم الإدراك والتَّكذيب ردُّ ما دلَّت عليه الرِّسالة

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾ قدَّم الفعل ﴿كَفَرُواْ﴾ على الفعل ﴿وَكَذَّبُواْ﴾؛ لأنَّ "الكفر هنا معناه: جحود القلب، وطمس معالم الإدراك؛ فقلوبهم غلف، قد غطِّيت عنها الحقائق، وغاب عنها الفهم الصحيح لأنَّ القلب قد شاه وفسد، فلا يرى الحقائق، ويكذِّب بها وكان التَّكذيب جرمًا عظيمًا؛ لأنَّه تكذيب بآيات الله تعالى الَّتي كانت للدَّلالة على الرِّسالة والإذعان للحقِّ"(3).

### في الآية مجاز بالحذف التَّقابليّ:

ذكر في الآية السَّابقة جزاء المؤمنين وحذفه مقابله هنا في جزاء الكافرين

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، في الآية ثمَّة محذوف يقابل المذكور في الآية السَّابقة: "لأنَّه ذكر في قسم المؤمنين الحكم بثواب عملهم، ولم يذكر ما به يقع الثَّواب، وذكر في قسم الكافرين ما به يقع العذاب، ولم يذكر الحكم بتعذيبهم، فالتقدير: لهم مغفرة وأجر عظيم، وهم أصحاب الجنَّة، والتقدير في الثَّاني: لهم عذاب أليم، وهم أصحاب الجحيم"(4).

قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ - تعبير تكرَّر أربع مرَّات في القرآن الكريم - أيْ: "هُم سُكَّانُها، واللَّابثُون فيها"(5)، بلْ

(1) الشوكاني، فتح القدير: 2/79.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/96.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2065.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/97.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 10/513.

والخَالدُون فيها، أمَّا الآيةُ بتمَامِهَا؛ فذُكرتْ ثلاثَ مرَّاتٍ في القرآن الكريم: في هذا المَوْضِعِ مرَّة، وفي الآية السادسة والثمانين من سورة المائدة، والآية التَّاسعة عشرة من سورة الحديد مرَّة ثالثة، وهُو يدْخُلُ في باب التَّكرار الَّذي يُفيدُ التَّوكيد، ولهُ فوائدُ عظيمةٌ.

**مصاحبة الجحيم وردت أربع مرَّات في القرآن توكيدًا**

الجملةُ الاسميَّة دالَّةٌ على الثَّبات واللُّزوم قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾، استعمل لفظ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ بالاسميَّة، لدلالتها على الثُّبُوت؛ لذلك جاءتْ مُشتقَّاتُها في القرآن الكريم اسميَّةً أكثرَ منْ مجيئها فعليَّة؛ لأنَّ الصُّحبة أمرٌ إذا حصل؛ فإنَّه يستمرُّ، ويستقرُّ، والصَّاحبُ من لازم أبدًا[1]، وسِوَى ذلك لا يُسمَّى صاحبًا؛ لأنَّ الصَّاحب هُو المُلازم المُعاشر، أمَّا غيرُه الَّذي لا يُلازم، بلْ قدْ ينْقطعُ؛ فيُسمَّى صَديقًا أوْ رفيقًا أو نحْوهُ، ولا يُسمَّى صَاحبًا.

وعندئذٍ فإنَّ الاسميّة أليقُ بهذا اللَّفظ؛ لذلكَ جاءَتْ في أغْلبِ وُرُودها في آيات القرآن بالاسميَّة، ومنْها هذه الآية الَّتي "جَاءَتِ الْجُمْلَةُ اسْمِيَّةً دَالَّةً عَلَى ثُبُوتِ هَذَا الْحُكْمِ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، فَهُمْ دَائِمُونَ فِي عَذَابٍ؛ إِذْ حَتَّمَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ"[2].

**ورود الصُّحبة بالفعليَّة في قصَّة موسى عليه السلام**

وقد وردتْ الصُّحبةُ بصيغة الفعل الَّذي يُفيد التَّجدُّد في قصّة مُوسى (عليه السلام)؛ لأنَّه لم يكنْ مصاحبًا بصفة الدَّوام والثُّبوت للرَّجل الصَّالح، وهُو حديثُ مُوسى عليه السلام مَعَ الخِضْر عليه السلام الَّذي وهبهُ اللّه منْ لدُنه علمًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦﴾ [الكهف: 76]، وما ورد بالفعليَّة لا يُفيد الثَّبات.

فهو لم يُلازمه على الدَّوام، ولكنَّه طلب مُصاحبته استثناءً في مُدَّة مُعيَّنة من الزَّمن؛ لأنَّه كان يتعجَّلُ معرفة ما خفي عنه، حتَّى

(1) الراغب، المفردات: (صحب).
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/197.

حصل الفراقُ بينهما، لمَّا عجز صبر موسى، عن الالتزام بعدم السُّؤال عن تصرُّفات الخِضر، ممَّا كان غريبًا وخارجًا عن سَنَنِ أحكام الشَّرع والعُرف الَّتي ألفها مُوسى وعرفها، فانبرى يحتجُّ على كلِّ فعل من الوقائع الثَّلاث تِباعًا، كما فصَّلت في ذلك سورةُ الكهف.

**قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ يفيد القصر:**

القصر في الجملة متأرجحٌ بين الادِّعائي والحقيقيِّ

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾، الجملة من باب القصر، فهو " قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا أَحَقَّ النَّاسِ بِالْجَحِيمِ، وَكَانُوا خَالِدِينَ فِيهِ جُعِلُوا كَالْمُنْفَرِدِينَ بِهِ، أَوْ هُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ، إِذَا كَانَتْ إِضَافَةُ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ مُؤْذِنَةً بِمَزِيدِ الِاخْتِصَاصِ بِالشَّيْءِ، كَمَا قَالُوهُ فِي مُرَادِفِهَا، وَهُوَ ذُو كَذَا، كَمَا نَبَّهُوا عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ [المائدة: 95]، فَيَكُونُ وَجْهُ هَذَا الِاخْتِصَاصِ أَنَّهُمُ الْبَاقُونَ فِي الْجَحِيمِ أَبَدًا"[1].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/137.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»